غَزْوَةُ أُحُدٍ

أَوَّلاً: مَا قَبْلَ المعْرَكَةِ.. أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:

كَانَتْ لِغَزْوَةِ أُحُدٍ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

١ـ السَّبَبُ الدِّينِيُّ:

كان المشركون ينفقون أموالهم فى الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الدخول فى الإسلام والسعى للقضاء على الإسلام والمسلمين قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

٢ـ السَّبَبُ الاجْتِمَاعِيُّ:

كان للهزيمة الكبيرة فى بدر وقتل السادة الأشراف من قريش وقع كبير من الخزى والعار الذى لحق بهم وجعلهم يشعرون بالمذلة والهزيمة؛ ولذلك بذلوا قصارى جهدهم فى غسل هذه الذلة والمهانة التى لصقت بهم، ولذلك شرعوا فى جمع المال لحرب رسول الله ﷺ فور عودتهم من بدر[١] وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التى كان قد نجا بها أبو سفيان والتى كانت سببا لمعركة بدر وقالوا للذين كانت فيهم أموالهم: يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم[٢] وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأرًا فأجابوا لذلك فباعوها، وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار[٣].

٣ـ السَّبَبُ الاقْتِصَادِيُّ:

كانت حركة السرايا التى تقوم بها الدولة الإسلامية قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليهم حصارًا اقتصاديًا قويًا، وكان الاقتصاد المكى قائما على رحلتى الشتاء والصيف رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها وقطع أحد جناحى هاتين الرحلتين ضر للجناح الآخر.

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٠١ - ١٠٢).

(٢) وتركم: ظلمكم.

(٣) الرحيق المختوم ص ٢٢٥.

٤- السَّبَبُ السِّيَاسِيُّ:

أخذت سيادة قريش فى الانهيار بعد غزوة بدر تزعزع مركزها بين القبائل بوصفها زعيمة لها فلابد من رد الاعتبار والحفاظ على زعامتها مهما كلفها الأمر من جهود ومال وضحايا [١].

قِوَامُ الجَيْشِ المَكِّيِّ وَسِيَادَتُهُ:

ولما استدارت السنة كانت مكة قد استكملت عدتها واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش، ورأى قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء؛ حتى يكون ذلك أبلغ فى استماتة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم، وكان عدد هذه النسوة خمس عشرة امرأة، وكان سلاح النقليات فى هذا الجيش ثلاثة آلاف بعير، ومن سلاح الفرسان مائتا فرس جنبوها طول الطريق، وكان من سلاح الوقاية سبعمائة درع، وكانت القيادة العامة إلى أبى سفيان بن حرب وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبى جهل، أما اللواء فكان إلى بنى عبد الدار.

تَحَرُّكُ الجَيْشِ المَكِّيِّ نَحْوَ المَدِينَةِ:

تحرك الجيش المكى بعد هذا الإعداد التام نحو المدينة؛ حتى إذا اقترب من المدينة سلك وادى العقيق ثم انحرف منه إلى ذات اليمين؛ حتى نزل قريبًا من أحد فى مكان يقال له: عينين فى بطن السبخة من قناة على شفير الوادى الذى يقع شمالى المدينة بجنب أحد فعسكر هناك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة.

الاسْتِخْبَارَاتُ النَّبَوِيَّةُ تَكْشِفُ حَرَكَةَ العَدُوِّ:

١- وكان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية؛ فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبى ﷺ ضمنها جميع تفاصيل الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجد فى السير؛ حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة التى تبلغ مسافتها نحو خمسمائة كيلو متر فى ثلاثة أيام، وسلم الرسالة إلى النبى ﷺ وهو فى مسجد قباء قرأ الرسالة على النبى أبى بن كعب[٢].

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٠٢ - ١٠٣).

(٢) الرحيق المختوم ٢٢٦ - ٢٢٧.

٢- لم يكتف النبى ﷺ بمعلومات المخابرات المكية بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن فأرسل النبى ﷺ الحباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع الخبر فدخل بين جيش مكة فسأله النبى ﷺ : «**ما رأيت؟**» قال: رأيت يا رسول الله عددًا حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، والخيل مائتى فرس ورأيت دروعًا ظاهرة حزرتها سبعمائة درع قال: «**هل رأيت ظعنا**» ؟ قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار[1] فقال رسول الله ﷺ : «**أردن أن يحرضن القوم، ويذكرهم قتلى بدر، هكذا جاءنى خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفًا؛ حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول**» كما أرسل ﷺ أنسًا ومؤنسًا ابنى فضالة يتنصتان أخبار قريش ، فألفياها قد قاربت المدينة ، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها وعادا فأخبراه بخبر القوم .

وبعد أن تأكد من المعلومات حصر ﷺ تلك المعلومات على المستوى القيادى خوفًا من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين قبل إعداد العدة ؛ ولذلك حين قرأ أبى بن كعب رسالة العباس أمره ﷺ بكتمان الأمر وعاد مسرعًا إلى المدينة[2] .

مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ لأَصْحَابِهِ وَالرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا :

بعد أن جمع ﷺ المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش جمع أصحابه ؛ لتبادل الرأى وأخبرهم عن رؤيا رآها قال: «**إنى قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرا يذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثُلما**[3] **ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة**» وقد تأول ﷺ البقر بنفر من أصحابه يقتلون وتأول الثلمة فى سيفه برجل يصاب من أهل بيته ، وتأول الدرع بالمدينة .

ثم قدم ﷺ رأيه إلى أصحابه ألا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها ؛ فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام وبغير جدوى ، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ، ووافقه على هذا الرأى عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، فقال رجال من المسلمين ممن فاته الخروج يوم بدر ومن غيرهم:

---

(١) الأكبار: جمع كبر ، وهو الطبل الذي له وجه واحد .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٠٤ - ١٠٥) .

(٣) الثلم: الكسر .

اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم وضعُفنا؟ .

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ؛ حتى دخل بيته فلبس لأمته [١] فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله استكر هناك ، ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك فقال ﷺ [٢]: فَقَالَ: «**ما ينبغي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا؛ حَتَّى يُقَاتِلَ**».

خُرُوجُ جَيْشِ المسْلِمِينَ إِلَى أُحُدٍ:

خرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه لملاقاة أعدائه ، وقد تحرك بعد منتصف الليل ؛ حيث يكون الجو هادئًا والحركة قليلة ، وفى هذا الوقت بالذات يكون الأعداء فى نوم عميق من مشقة السفر .

كما اختار ﷺ الطريق الذى تتوافر فيه السرية قال ﷺ لأصحابه: «**من رجل يخرج على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟**» فأبدى أبو خيثمة - رضى الله عنه- استعداده قائلا: أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم ؛ حتى سلك به فى مال لمربع بن قيظى ، وكان رجلاً منافقًا ضرير البصر ، فلما أحس برسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثى فى وجوههم التراب ، وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطى ، وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب بيده ثم قال: والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ؛ ليقتلوه فقال ﷺ : «**لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر**» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى الأشهل [٣] قبل نهى رسول الله ﷺ عنه فضربه بالقوس فى رأسه فشجه [٤] .

انْسِحَابُ ابنِ سَلُولٍ بِثُلُثِ الجَيْشِ:

عندما وصل جيش المسلمين الشواط ، انسحب عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس ، وقال: أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا - أيها الناس- فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق .

واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول: يا قوم ؛ أذكركم الله ألا

---

(١) لأمته: درعه .

(٢) رواه أحمد ٢١٥٩ ، ابن هشام (١ / ٤٢٢ / ٤٢٣) .

(٣) بنو الأشهل: حي من الأنصار .

(٤) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٠٨ - ١٠٩) .

تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه[1] وفى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧][2].

واقترح بعض الصحابة الاستعانة باليهود بناء على ما بينهم من ميثاق التناصر فقال رسول الله ﷺ: «**لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك**»[3].

ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه؛ وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوى إلى هذا المكان معنى، ولو كان هذا هو السبب لانعزل عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيسى من هذا التمرد فى ذلك الظرف الدقيق أن يحدث البلبلة والاضطراب فى جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم؛ حتى ينحاز عامة الجيش عن النبى ﷺ وتنهار معنويات من يبقى معه بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر؛ فيكون ذلك أسرع للقضاء على النبى ﷺ وأصحابه المخلصين، ويصحو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه.

وكاد المنافق ينجح فى تحقيق بعض ما كان يهدف إليه؛ فقد همت طائفتان: بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج أن تفشلا، ولكن الله تولاهما فثبتتا بعدما سرى فيهما الاضطراب، وهمتا بالرجوع والانسحاب وعنهما يقول الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ۙ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢][4].

اسْتِعْرَاضُ الجَيْشِ:

عندما وصل ﷺ إلى مقام يقال له: الشيخان استعرض جيشه؛ فرَدَّ من استصغره ولم

---

(١) ابن هشام (١ / ٤٢٣).
(٢) السيرة النبوية للصلابي الجزء الثاني.
(٣) فقه السيرة للبوطي ص ١٨٥.
(٤) الرحيق المختوم ص ٢٢٩.

يـره مطـيقًا للقـتال ، وكـان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وأسامة بن زيد وأسيد بن ظهـير وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم وعرابة بن أوس وعمرو بن حزم وأبو سعيد الخدرى وزيد بن حارثة الأنصارى وسعد بن حبة ، ويذكر فى هؤلاء البراء بن عازب لكن حديثه فى البخارى يدل على شهوده القتال ذلك اليوم .

وأجـاز رافـع بـن خـديج وسمـرة بن جندب على صغر سنهما ، وذلك أن رافع بن خـديج كان ماهرًا فى رماية النبل فأجازه فقال سمرة: أنا أقوى من رافع أنا أصرعه فلما أخـبر رسول الله ﷺ بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا فصرع سمرة رافعًا فأجازه أيضًا[1] .

خُطَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمَعْرَكَةِ:

وضـع الرسـول ﷺ خطـة محكمـة لمـواجهة المشركين من قريش ؛ حيث اختار الموقع المناسـب ، فقـد أدرك ﷺ أهمـية جـبل أحد لحماية جيش المسلمين ، فعندما وصل جيش المـسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول ﷺ ظهورهم إلى الجبل ، ووجوههم إلى المدينة وقام بتقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب وأعطى اللواء أفراد الكتيبة وهذه الكتائب هى:

١- كتيبة المهاجرين وأعطى لواءها مصعب بن عمير - رضى الله عنه .

٢- كتيبة الأوس من الأنصار وأعطى لواءها أسيد بن حضير - رضى الله عنه .

٣- كتيـبة الخـزرج مـن الأنـصار أعطـى لواءها الحباب بن المنذر - رضى الله عنه- وانتقـى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير ، ووضعهم فوق جبل عينين المقابل لجـبل أحـد وذلـك يمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين [2] وقال لقائدهم: **«انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك»** وقـال للـرماة[3]: **«إِنْ رَأَيْـتُمُونَا تَخْطَفُـنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْـتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ فَهَزَمُوهُمْ»** قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةَ أَيْ قَـوْمِ الْغَنِيمَةَ ظَهَـرَ أَصْـحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ:

---

(١) المصدر نفسه ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١١٢ - ١١٤) .

(٣) (صحيح): البخاري ٣٠٣٩ .

أَنسيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنْ الْغَنِيمَةِ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ فَذَاكَ إِذ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلاً فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاءِ فَقَدْ قُتِلُوا فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هُبَلْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلا تُجِيبُوا لَهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**» قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلا تُجِيبُوا لَهُ**» قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ**».

أما بقية الجيش فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وعلى الميسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود، وكان إلى الزبير مهمة الصمود فى وجه فرسان خالد بن الوليد، وجعل فى مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يزنون بالآلاف [(١)].

قام ﷺ بصف أصحابه على هيئة صفوف الصلاة جعل رسول الله ﷺ يمشى على رجليه يسوى تلك الصفوف ويبوئ أصحابه للقتال، يقول: تقدم يا فلان وتأخر يا فلان فهو يقودهم؛ حتى استوت الصفوف فوضع ﷺ فى مقدمة الضفوف الأشداء؛ لكى يفتحوا الطريق لمن خلفهم وقد أخذ الرسول ﷺ بهذا الأسلوب؛ لأنه أبلغ في قتال الأعداء ثم أمرهم قائلا: «**لا يقاتلن أحد؛ حتى نأمره بالقتال**» [(٢)].

تَحْرِيضُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى القِتَالِ

كان ﷺ من هديه أن يحرض أصحابه على قتال الأعداء، ويحثهم على التحلى بالصبر فى ميادين القتال؛ لكى تقوى روحهم المعنوية ويصمدوا عند

---

(١) الرحيق المختوم ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ١١٤ - ١١٥).

ملاقاة أعدائهم ، فخطب فيهم يوم أحد قائلا: «**يأيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله فى كتابه من العمل بطاعته والتناهى عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه، ثم وطّن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كريه قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله وعليكم بالذى آمركم؛ فإنى حريص على رشدكم فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله، ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر**» [(١)] .

كما أخذ النبى ﷺ ينفث روح البسالة فى أصحابه ؛ حتى جرد سيفًا باترًا ونادى أصحابه: «**من يأخذ هذا السيف بحقه؟**» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ؛ حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة فقال: يا رسول الله ﷺ قال: «**أن تشرب به العدو حتى ينحنى**» قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعًا يختال عند العرب ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها على الناس أنه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بها الصفين ، وعندما رآه رسول الله ﷺ قال: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن**» [(٢)] ، فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ[(٣)]:«مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ؟» فَأَخَذَهُ قَوْمٌ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ: أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكٌ: أَنَا آخُذُ بِحَقِّهِ فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ هَامَ الْمُشْرِكِينَ.

تَعْبِئَةُ الجَيْشِ المَكِّيِّ:

أما المشركون فعبأوا جيشهم حسب نظام الصفوف ، فكانت القيادة العامة إلى أبى سفيان بن حرب الذى تمركز فى قلب الجيش ، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد وكان إذ ذاك مشركًا ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية ، وعلى رماة النبل عبد الله بن أبى ربيعة .

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ١١٣)

(٢) ابن هشام ١ / ٤٢٦ .

(٣) (صحيح): رواه أحمد ١١٨٢٦ .

أما اللواء فكان إلى مفرزة من بنى عبد الدار ، وأخذ أبو سفيان يحرض أصحابه على اللـواء قـائلاً: يـا بنـى عـبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الـناس من قبل راياتهم ، وإذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفـيكموه ، فغـضب بـنو عـبد الـدار وهموا به وتواعدوه ، وقالوا له: نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم - غدًا- إذا التقينا كيف نصنع؟! .

وقـد ثبـتوا عـند احـتدام المعـركة ؛ حتـى أبـيدو عـن بكـرة أبـيهم ، وقامـت نـسوة قـريش بنـصيبهن مـن المـشاركة فـى المعـركة تقـودهن هـند بـنت عتـبة زوجـة أبـى سـفيان ، فكـن يـتجولن فـى الـصفوف ويـضربن الدفـوف يستنهـضن الـرجال ، ويحرضن على القتال[1] .

* * *

(١) الرحيق المختوم ٢٣١ - ٢٣٢ .

ثَانيًا: فِي قَلْبِ المعْرَكَةِ

مُنَاوَرَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ مِنْ قِبَلِ قُرَيْشٍ:

حاول أبو سفيان قبل نشوب المعركة إيقاع الفرقة والنزاع داخل صفوف المسلمين؛ فأرسل إلى الأنصار يقول لهم: خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم؛ فلا حاجة لنا إلى قتالكم، فرد عليه الأنصار ردًّا عنيفًا وأسمعوه ما يكره، ولما فشلت المحاولة الأولى لجأت قريش إلى محاولة أخرى عن طريق عميل خائن يسمى: أبا عامر الفاسق واسمه عبد عمرو بن صيفى، وكان يسمى: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: «الفاسق»، وكان رأس الأوس فى الجاهلية فلما جاء الإسلام جاهر بالعداوة للرسول ﷺ، وذهب إلى قريش يؤلبهم على النبى ﷺ ويحضهم على قتاله، ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه فنادى قومه وقال: يا معشر الأوس أنا أبو عامر فقالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومى بعدى شر ولما بدأ القتال قاتلهم قتالاً شديدًا وراضخهم بالحجارة[1].

بَدْءُ القِتَالِ:

بدأ القتال وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبى طلحة العبدرى وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتيبة، خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة فأحجم عنه الناس؛ لفرط شجاعته ولكن تقدم إليه الزبير ولم يمهله، بل وثب إليه وثبة الليث؛ حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه، وذبحه بسيفه ورأى النبى ﷺ هذا الصراع الرائع فكبر، وكبر المسلمون، وأثنى على الزبير وقال فى حقه: «إن لكل نبى حواريًا؛ وحواريّ الزبير»[2].

نَقْلُ المعْرَكَةِ حَوْلَ اللِّوَاءِ وَإِبَادَةُ حَمَلَتِهِ:

ثم اندلعت نيران المعركة واشتد القتال بين الفريقين فى كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبى طلحة وتقدم للقتال وهو يقول:

إن على أهل اللواء حقًّا ... أن تخضب الصعدة[3] أو تندقًا

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ١١٧).

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٣٣.

(٣) الصعدة: القناة.

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة ترت يده مع كتفه ؛ حتى وصلت إلى سرته فبانت رئته ، ثم رفع اللواء أبو سعد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص بسهم أصاب حنجرته فأدلع[١] لسانه ومات لحينه .

وقيل: بل خرج أبو سعد يدعو إلى البراز فتقدم إليه على بن أبى طالب فاختلفا ضربتين فضربه على فقتله ، ثم رفع اللواء مسافع بن طلحة بن أبى طلحة فرماه عاصم ابن ثابت بن أبى الأفلح بسهم فقتله .

فحمل اللواء بعده أخوه كلاب بن طلحة بن أبى طلحة فانقض عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله ، ثم حمل اللواء أخوهما الجلاس بن طلحة بن أبى طلحة فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته ، وقيل: بل رماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح بسهم فقضى عليه . .

هؤلاء ستة نفر من بيت واحد بيت أبى طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار قتلوا جميعًا حول لواء المشركين ، ثم حمله من بنى عبد الدار أرطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب وقيل حمزة بن عبدالمطلب ثم حمله شريح بن قارظ فقتله قزمان ، وكان منافقًا قاتل مع المسلمين حمية لا عن الإسلام ، ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدرى فقتله قزمان أيضًا ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم العبدرى فقتله قزمان أيضًا .

فهؤلاء عشرة من بنى عبد الدار - من حملة اللواء- أبيدوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء فتقدم غلام لهم حبشى - اسمه صُؤاب- فحمل اللواء وأبدى من صنوف الشجاعة والثبات ما فاق به مواليه من حملة اللواء الذين قتلوا قبله ، فقد قاتل حتى قطعت يداه فبرك على اللواء بصدره وعنقه ؛ لئلا يسقط حتى قتل ، وهو يقول: اللهم هل أعزرت؟ يعنى: هل أعذرت؟ وبعد أن قتل صُؤاب سقط اللواء على الأرض ، ولم يبق أحد يحمله فبقى ساقطًا[٢] .

القِتَالُ فِي سَائِرِ نِقَاطِ المعْرَكَةِ:

وبينما كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين كان القتال المرير يجرى فى سائر

---

(١) أدلع: أخرج .

(٢) الرحيق المختوم ٢٣٣ - ٢٣٤ .

نقاط المعركة ، وقاتل المسلمون وهم يقولون: "أمت ، أمت" كان ذلك شعارًا لهم يوم أحد .

فاقتتل الناس وحميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس وقد وصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة قائلاً: وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت: أنا ابن صفية عمته ومن قريش ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركنى ؛ والله لأنظرن ما يصنع ، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانه عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكيول[1] أضرب بسيف الله والرسول

قال ابن إسحاق فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله ، وكان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفَّف عليه [2] فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم[3] قال ابن إسحاق: وقال أبو دجانة: رأيت إنسانًا يحمس الناس حماسًا شديدًا ؛ فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة [4] .

نَصِيبُ فَصِيلَةِ الرُّمَاةِ فِي المعْرَكَةِ :

وكانت للفصيلة التى عينها الرسول ﷺ جبل الرماة يد بيضاء فى إدارة دفة القتال لصالح الجيش الإسلامى ، فقد هجم فرسان مكة بقيادة خالد بن الوليد يسانده أبو عامر الفاسق ثلاث مرات ؛ ليحطموا جناح الجيش الإسلامى الأيسر ؛ حتى يتسربوا إلى ظهور المسلمين فيحدثوا البلبلة والارتباك فى صفوفهم وينزلوا عليهم هزيمة ساحقة ، ولكن

---

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب .
(٢) ذفف: أجهز عليه وأسر لقتله .
(٣) ابن هشام (١ / ٤٢٨) .
(٤)السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١١٨) .

هؤلاء الرماة رشقوهم بالنبل ؛ حتى فشلت هجماتهم الثلاث .

انْتِصَارُ المسْلِمِينَ فِي الجَوْلَةِ الأُولَى :

ظل الجيش الإسلامى مسيطرًا على الموقف كله ؛ حتى خارت عزائم أبطال المشركين وأخذت صفوفهم تتبدد عن اليمين والشمال والأمام والخلف ، وظهر المسلمون فى أعلى صور الشجاعة واليقين .

وبعد أن بذلت قريش أقصى جهدها لسد الهجوم المسلمين أحست بالعجز والخور ، وانكسرت همتها ؛ لدرجة أنه لم يجترئ أحد منها أن يدنو من لوائها الذى سقط بعد مقتل صُؤاب فيحمله ليدور حول القتال ، فأخذت فى الإنسحاب ولجأت إلى الفرار ونسيت ما كانت تتحدث به فى نفوسها من أخذ الثأر والوتر والانتقام وإعادة العز والمجد والوقار[١] وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] [٢] .

مُخَالَفَةُ الرُّمَاةِ لأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ :

ولما رأى الرماة الهزيمة التى حلت بقريش وأحلافها ورأوا الغنائم فى أرض المعركة تركوا مواقعهم ؛ ظنًا منهم أن المعركة انتهت ، وقالوا لأميرهم: عبد الله بن جبير ، الغنيمة أي: قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة ، ثم انطلقوا يجمعون الغنائم ولم يعبأوا بقول أميرهم[٣] .

خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ يَغْتَنِمُ الفُرْصَةَ :

وكان فرسان المشركين بقيادة (خالد بن الوليد) محصورين لا يجدون ثغرة ينفذون منها إلى قلب المسلمين ، إلى أن حلت الهزيمة ، فلما رأى خالد أن مؤخرة المسلمين

---

(١) الرحيق المختوم ص ٢٣٦ .
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١١٩) .
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١١٩) .

انكشفت فلم يبق عليها حارس، اغتنم الفرصة على عجل فاستدار بالخيل، وأحدق بخصومه منحدرًا عليهم من حيث لا يحتسبون، ورأى الفارُّون من قريش بوادر هذا التغير الطارئ، فتراجعوا حتى أن امرأة تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية هى التى رفعت لواء قريش من التراب بعد أن سقط وصُرع حملته! وثاب المشركون إلى رايتهم وخيالتهم فأُحيط بالصحابة من الأمام والخلف، ووقعوا بين شقى الرحى[1].

مَوْقِفُ المسْلِمِينَ بَعْدَ تَطْوِيقِ المشْرِكِينَ لَهُمْ:

فقد المسلمون مواقعهم الأولى بعدما أحاط المشركون بهم، وأخذوا يقاتلون بدون تخطيط، وفقدوا اتصالهم برسول الله ﷺ وشاع أن محمدًا قد قتل فتفرق المسلمون، ودخل بعضهم المدينة وانطلقت طائفة منهم فوق الجبل، واختلطت على الصحابة أحوالهم؛ فما يدرون كيف يفعلون من هول الفاجعة ففر جمع من المسلمين من ميدان المعركة، وجلس بعضهم إلى جانب ميدان المعركة بدون قتال، وآثر آخرون الشهادة بعد أن ظنوا أن رسول الله ﷺ قد مات، ومن هؤلاء أنس بن النضر الذى كان يأسف لعدم شهوده بدرًا والذى قال فى ذلك: والله لئن أرانى الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ ليرين الله كيف أصنع؟

وقد صدق فى وعده، مرَّ يوم أحد على قوم ممن أذهلتهم الشائعة، وألقوا بسلاحهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله، فقال: يا قوم إن كان محمد قتل؛ فإن ربَّ محمد لم يُقتل وموتوا على ممات عليه، وقال: اللهم إنى أعتذر إليك مما قال هؤلاء يعنى: المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعنى: المشركين.

ثم لقى سعد بن معاذ فقال: يا سعد إنى لأجد ريح الجنة دون أحد، وقاتل حتى استشهد فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رومية بسهم؛ فلم تعرفه إلا أخته ببنانه وفى هذا وأمثاله نزل قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أما أولئك النفر الذين فروا لا يلوون على شيء رغم دعوة النبى ﷺ لهم بالصمود والثبات، فقد نزل فيهم قوله تعالى: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣١٤.

فَاتَـكُمْ وَلَا مَآ أَصَـبَـكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] .

وقد نص القرآن الكريم على أن الله - تعالى- قد عفا عن تلك الفئة التى فرت قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] (١) .

الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ :

وثبت مع النبى ﷺ نفر قليل ؛ منهم سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو دجانة وأبو طلحة الأنصارى (رضى الله عنهم) .

ولما سمع المشركون صوت النبى ﷺ وهو ينادى على أصحابه: «**هلم إلىّ.. أنا رسول الله**» هاجموا وأرادوا أن يقتلوه فقام تسعة من أصحابة يدافعون عنه بكل حب وتفانٍ وبطولة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ(٢): «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**» فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**» فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**» .

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن قاتل ؛ حتى أثبتته الجراحة فسقط(٣) وبعد لحظة فاءت إلى رسول الله ﷺ فئة من المسلمين فأجهضوا الكفار عن عمارة ، وأدنوه من رسول الله ﷺ فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ .

أَحْرَجُ سَاعَةٍ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ :

وبعد سقوط ابن السكن بقى رسول الله ﷺ فى القرشيين فقط ، فانتهز المشركون تلك الفرصة ، وركزوا حملتهم على النبى ﷺ وطمعوا فى القضاء عليه ، رماه عتبة بن أبى وقاص بالحجارة فوقع لشقه(٤) وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى ، وكلمت شفته السفلى

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١١٩ - ١٢١) .
(٢) (صحيح): مسلم ١٧٨٩ .
(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣١٦ .
(٤) الشق: الناحية من الجبل .

وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهرى فشجه فى جبهته ، وجاء فارس عنيد هو عبد الله ابن قمئة فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة ، شكا لأجلها أكثر من شهر ، إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين ثم ضرب على وجنته ﷺ ضربة أخرى عنيفة كالأولى ؛ حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ، وقال: خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: «**أقمأك الله**» (١) .

وفى الصحيح أنه ﷺ كسرت رباعيته وشج فى رأسه ، فجعل يسلُتُ الدم عنه ويقول: «**كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله**» فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] .

وفى رواية الطبرانى أنه قال يومئذ: «**اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله**» ثم مكث ساعة ثم قال: «**اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**»، ولا شك أن المشركين كانوا يهدفون القضاء على حياة الرسول ﷺ إلا أن القرشيين سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله قاما ببطولة نادرة ؛ حتى لم يتركا سبيلاً إلى نجاح المشركين في هدفهم .

عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ(٢): نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ ﷺ : «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». ويدل على مدى كفاءته أن النبي ﷺ لم يجمع أبويه لأحد غير سعد (٣) .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَأَدْرَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ(٤):«**مَنْ لِلْقَوْمِ**» فَقَالَ طَلْحَةُ أَنَا: «**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ**» ﷺ : «**كَمَا أَنْتَ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «**أَنْتَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ**» ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ**» فَقَالَ

---

(١) أقمأك الله: أذلك الله .

(٢) (صحيح): رواه البخاري ٤٠٥٥ ، الرحيق المختوم ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) الرحيق المختوم ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٤) (صحيح): رواه النسائي ٣١٤٩ ، والحاكم مختصرًا .

طَلْحَةُ: أَنَا قَالَ: «كَمَا أَنْتَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ أَنَا فَقَالَ أَنْتَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ» ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ» ﷺ: «مَنْ لِلْقَوْمِ» فَقَالَ طَلْحَةُ أَنَا فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ فَقَالَ حَسِّ[1] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلاَئِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ».

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[2]، وجرح في تلك الغزوة تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشلت أصبعه أي: السبابة والتي تليها وقال النبي يومئذ[3]: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ»[4].

وفي ذلك الظرف الدقيق والساعة الحرجة أنزل الله نصره بالغيب ففي الصحيحين عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ[5]: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ. وفي رواية يعني: جبريل وميكائيل[6].

بداية تجمُّع الصحابة حول الرسول ﷺ:

وقعت هذه الأحداث كلها بسرعة هائلة في لحظات خاطفة، وإلا فالمصطفون الأخيار من صحابته ﷺ الذين كانوا في مقدمة صفوف المسلمين عند القتال لم يكادوا يرون تغير الموقف أو يسمعوا صوته ﷺ؛ حتى أسرعوا إليه لئلا يصل إليه شيء يكرهونه، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسول الله ﷺ ما لقي من الجراحات وستة من الأنصار قد قتلوا، والسابع قد أثبتته الجراحات، وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح.

---

(١) حس: تقال عند التوجع.
(٢) رواه البخاري.
(٣) (صحيح): رواه الترمذي ٣٧٣٩، سيرة الرسول أبو عمار ٣١٧ - ٣١٨.
(٤) سيرة الرسول أبو عمار ٣١٧ - ٣١٨.
(٥) (صحيح): رواه البخاري ٤٠٥٤، مسلم ٢٣٠٦.
(٦) الرحيق المختوم ص ٢٤١.

فلما وصلوا أقاموا حوله سياجًا من أجسادهم وسلاحهم وبالغوا فى وقايته من ضربات العدو ورد هجماته، وكان أول من رجع إليه وهو ثانيه فى الغار أبو بكر الصديق - رضى الله عنه- وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبى ﷺ عصابة من أبطال المسلمين منهم أبو دجانة ومصعب بن عمير وعلى بن أبى طالب وسهل بن حنيف ومالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية وقتادة بن النعمان وعمر بن الخطاب وحاطب بن أبى بلتعة وأبو طلحة [١].

اسْتِمَاتَةُ الصَّحَابَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

قام المسلمون ببطولات نادرة وتضحيات رائعة لم يعرف لها التاريخ نظيرًا، كان أبو طلحة يسور نفسه بين يدى رسول الله ﷺ يرفع صدره؛ ليقيه سهام العدو، قال أنس: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحة بين يديه مجوب عليه بحجفة له، وكان رجلاً راميًا شديد النزع كسر - يومئذ- قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول: "انثرها لأبى طلحة" قال: ويشرف النبى ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبى أنت وأمى لا تشرف يصيبك سهم من سهام، نحري دون نحرك [٢]. وعنه أيضًا قال: كان أبو طلحة يترس مع النبى ﷺ بترس واحد، وكان أبو طلحة حسن الرمى فكان إذا رمى تشرف النبى ﷺ فينظر إلى موقع نبله[٣].

وقام أبو دجانة أمام رسول الله ﷺ فترَّس عليه بظهره، والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك.

وتبع حاطب بن أبى بلتعة عتبة بن أبى وقاص الذى كسر رباعيته الشريفة فضربه بالسيف؛ حتى طرح رأسه ثم أخذ فرسه وسيفه، وكان سعد بن أبى وقاص شديد الحرص على قتل أخيه - عتبة هذا- إلا أنه لم يظفر به بل ظفر به حاطب.

وكان سهل بن حنيف أحد الرماة الأبطال بايع رسول الله ﷺ على الموت ثم قام

---

(١) الرحيق المختوم ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) رواه البخاري (٢ / ٥٨١).

(٣) رواه البخاري (١ / ٤٠٦).

بدور فعال فى زود المشركين .

وكان رسول الله ﷺ يباشر الرماية بنفسه ، فعن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه ؛ حتى اندقت سيتها ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينه ؛حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهُمَا .

وقاتل عبد الرحمن بن عوف ؛ حتى أصيب فوه يومئذ فهُتِمَ ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعدها فى رجله فعرج .

وامتص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى الدم من وجنته ﷺ؛ حتى أنقاه فقال: «مجه» فقال: والله لا أمجه ؛ ثم أدبر يقاتل فقال النبى ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» فقتل شهيدًا ، وقاتلت أم عمارة فاعترضت لابن قمئة فى أناس من المسلمين فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحًا أجوف ، وضربت هى ابن قمئة عدة ضربات بسيفها ؛ لكن كانت عليه درعان فنجا ، وبقيت أم عمارة تقاتل ؛ حتى أصابها اثنا عشر جرحًا [١] .

انْسِحَابُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الشِّعْبِ :

استطاع رسول الله ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق فأقبل إليهم فعرفه كعب بن مالك - كان أول من عرفه- فنادى بأعلى صوته يا معشر المسلمين: أبشروا هذا رسول الله ﷺ فأشار إليه أن: اصمت ، وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون إلا أن هذا الصوت بلغ إلى أذان المسلمين ، فلاذ إليه المسلمون ؛ حتى تجمع حوله حوالى ثلاثين رجلاً من الصحابة وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله ﷺ فى الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل ، وفى أثناء هذا الانسحاب إلى الجبل عرضت له صخرة من الجبل فنهض إليها ؛ ليعلوها فلم يستطع لأنه كان قد بدن[٢] وظاهر بين الدرعين [٣] وقد أصابه جرح شديد ، فجلس تحته طلحة بن

(١) الرحيق المختوم ٢٤٣ - ٢٤٤ .
(٢) بدن: أسن وأضعف .
(٣) ظاهر بين درعين: لبس درعا فوق درع .

عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها وقال: «**أوجب طلحة**» أى: الجنة[١].

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب ؛ حتى ملأ درقته ماء من المهراس ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ؛ ليشرب منه فوجد له ريحًا فعافه فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول: «**اشتد غضب الله على من دمَّى وجه نبيه**»[٢].

وقال سهل: والله إنى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما رُووى؟ كانت فاطمة ابنته تغسله وعلى بن أبى طالب يسكب الماء بالمجن ؛ فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها فاستمسك الدم ، وجاء محمد بن مسلمة بماء عذب سائغ فشرب منه النبى ﷺ ودعا له بخير[٣].

آخِرُ هُجُومٍ قَامَ بِهِ المشْرِكُونَ:

ولما تمكن رسول الله ﷺ من مقر قيادته فى الشعب قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين قال ابن إسحاق: بينما رسول الله ﷺ فى الشعب إذ علت عالية من قريش الجبل يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا**» فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين ؛ حتى أهبطوهم من الجبل[٤].

وكان المسلمون فى حالة من الألم والخوف والغم لما أصاب رسول الله ﷺ وما أصابهم رغم نجاحهم فى رد المشركين فأنزل الله عليهم النعاس فناموا يسيروا ثم أفاقوا آمنين مطمئنين ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ

---

(١) الرحيق المختوم ٢٤٤ - ٢٤٦ .
(٢) ابن هشام (١ / ٤٤١) .
(٣) الرحيق المختوم ص ٢٤٨ .
(٤) الرحيق المختوم ص ٢٤٧ .

وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

أما قريش فإنها يئست من تحقيق نصر حاسم ، وأجهد رجالها من طول المعركة ومن صمود المسلمين وجلدهم خاصة بعد أن اطمأنوا ، وأنزل الله عليهم الأمنة والصمود فالتقوا حول النبى ﷺ ولذلك كفوا عن مطاردة المسلمين وعن محاولة اختراق قواتهم[١] .

تَشْوِيهُ الشُّهَدَاءِ:

بعد أن قام المشركون بآخر هجوم ضد النبى ﷺ رجعوا إلى مقرهم وأخذوا يتهيأون للرجوع إلى مكة واشتغل من اشتغل منهم وكذلك النساء بقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعوك الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وبقرت هند بنت عتبة كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها واتخذت من الآذان والأنوف قلائد وخلاخيل[٢] .

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٢٣) .
(٢) الرحيق المختوم ص ٢٤٧ .

مَشَاهِدُ مِنَ المعْرَكَةِ

أَوَّلاً : مِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ حَمْزَةُ بن عبد المطلب سيد الشهداء :

يقول وحشى بن حرب قاتل حمزة: كنت غلامًا لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيْمَة ابن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق ، قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشيًا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئًا ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق [١] يهد الناس بسيفه هدًا ، ما يقوم له شيء ؛ فوالله إنى لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ؛ ليدنو منى إذا تقدمنى إليه سباعُ بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال له: هلم إلىَّ يا بن مقطعة البظور ، قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه [٢] قال: وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه فوقعت ثنته[٣] حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء[٤] نحوى ، فغلب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته ؛ لأعتق فلما قدمت مكة أُعتقت[٥] .

مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ رضى الله عنه :

قاتل مصعب بن عمير بضراوة بالغة يدافع عن النبى ﷺ هجوم ابن قمئة وأصحابه وكان اللواء بيده فضربوه على يده اليمنى حتى قطعت ، فأخذ اللواء بيده اليسرى وصمد فى وجوه الكفار حتى قطعت يده اليسرى ، ثم برك عليه بصدره وعنقه حتى قتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله ﷺ لشبهه به فانصرف ابن قمئة إلى المشركين وصاح إن محمدًا قد قتل [٦] قال خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ وَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ يَتْرُكْ إِلا نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ

---

(١) الجمل الأورق: لونه بين الغبرة والسواد لما عليه من الغبار .

(٢) أخطأ رأسه: يقال عند المبالغة في الإصابة .

(٣) ثنته: أحشاؤه .

(٤) ينوء: ينهض متثاقلا .

(٥) ابن هشام (١ / ٤٣١) .

(٦) الرحيق المختوم ص ٢٤٤ .

خَرَجَتْ رِجْلاهُ وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ [١]: «غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الإِذْخِرَ» [٢].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه- قال: إن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مَرَّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه ودعا له ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم، والذى نفس محمد بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه**» [٣].

سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ رضى الله عنه:

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لى: «**إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟**» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق وفيه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت: يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «**أخبرنى كيف تجدك؟**» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله ﷺ أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته [٤].

عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ رضى الله عنه:

قال سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه- : إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله فخلوا فى ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو فلقنى رجلاً شديدًا بأسه شديدًا حرده؛ أقاتله ويقاتلنى، ثم ارزقنى الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه فأمَّن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقنى رجلاً شديدًا حرده شديدًا بأسه أقاتله فيك ويقاتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك - غدًا- قلت: من

---

(١) (صحيح): رواه البخاري ٤٠٤٧.
(٢) الإذخر: نوع من العشب.
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٢٨).
(٤) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣٣٢.

جدع أنفك وأذنك؟ فأقول فيك وفى رسولك ، فتقول: صدقت ، قال سعد: يا بنى كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتى ؛ لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان فى خيط[١] .

حَنْظَلَةُ بنُ أَبِي عَامِرٍ غَسِيلُ المَلاَئِكَةِ رضى الله عنه :

لما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبى سفيان بن حرب فوق على الأرض ، فصاح حنظلة يريد ذبحه ، فأدركه الأسود بن شداد ويقال له: ابن شعوب فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ، ومشى إليه حنظلة بالرمح وقد أثبته ثم ضرب الثانية فقتله ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إنى رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة**» فقال رسول الله ﷺ : «**فسألوا أهله ما شأنه؟**» فسألوا صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة[٢] فقال رسول الله ﷺ : «**فلذلك غسلته الملائكة**» [٣] .

عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ رضى الله عنه :

أصر عبد الله بن عمرو بن حرام على الخروج فى غزوة أحد ، فخاطب ابنه قائلاً: ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ وإنى لا أترك بعدى أعز علىَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ ؛ فإن علىَّ دينًا فاقض ، واستوص بأخواتك خيرًا .

وخرج مع المسلمين ونال الشهادة فى سبيل الله فقد قتل فى معركة أحد ، ويحدثنا جابر قائلاً: لما قتل أبى يوم أحد جعلت أكشف عن وجهه وأبكى وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونى وهو لا ينهانى وجعلت عمتى تبكيه فقال النبى ﷺ : «**تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها؛ حتى رفعتموه**».

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [٤]: «**يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي قتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا قَالَ: «**أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي**

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٢٩) .

(٢) الهاتفة: المنادي يدعو للخروج لملاقاة العدو .

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٢٩) .

(٤) (صحيح): رواه الترمذي ٣٠١٠ .

أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ» قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

وقد رأى عبد الله بن عمرو رؤية فى منامه قبل أحد قال: رأيت فى النوم قبل أحد مبشِّر بن عبد المنذر يقول لى: أنت قادم علينا فى أيام فقلت: وأين أنت؟ فقال: فى الجنة نسرح فيها كيف نشاء؟ قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى ثم أحييت فذكر رسول الله ﷺ فقال: «**هذه الشهادة يا أبا جابر، وقد تحققت تلك الرؤيا بفضل الله ومنه**».

خَيْثَمَةُ أبُو سَعْدٍ رضى الله عنه :

قال خيثمة أبو سعد وكان ابنه استشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر: لقد أخطأتنى وقعة بدر وكنت والله عليها حريصًا ؛ حتى ساهمت ابنى فى الخروج ، فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها ويقول: الحق بنا ترافقنا فى الجنة ؛ فقد وجدت ما وعدنى ربى حقًا ، وقد والله يا رسول الله ﷺ أصبحت مشتاقًا إلى مرافقته فى الجنة ، ورق عظمى وأحببت لقاء ربى ؛ فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة سعد فى الجنة فدعا له رسول الله ﷺ بذلك فقتل بأحد شهيدًا [(١)] .

وَهْبُ المزَنِيُّ وَابنُ أَخِيهِ رضى الله عنهما :

أقبل وهب بن قابوس المزنى ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس بغنم لهما من جبل مزينة ، فوجد المدينة خلوا فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد ، خرج رسول ﷺ يقاتل المشركين من قريش فقالا: لا ينبغى أثرًا بعد عين فخرجا ؛ حتى أتيا النبى ﷺ بأحد فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، فأغارا مع المسلمين فى النهب ، وجاءت الخيل من وراءهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فاختلطوا فقاتلا أشد القتال ، فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله ﷺ : «**من لهذه الفرقة؟**» فقال وهب بن قابوس أنا يا رسول الله ﷺ ، فقام فرماهم بالنبل ؛ حتى انصرفوا ثم رجع فانفرقت فرقة أخرى فقال رسول الله ﷺ : «**من لهذه الكتيبة؟**» فقال المزنى: أنا يا رسول الله ﷺ فقام فذبها بالسيف ؛ حتى ولوا ثم رجع المزنى ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: «**من يقوم لهؤلاء؟**»

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٣٢) .

فقال المزنى: أنا يا رسول الله ﷺ فقال: «قم وأبشر بالجنة» فقام المزنى مسرورًا يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فقام فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف ورسول الله ﷺ ينظر إلى المسلمين حتى خرج من أقصاهم ورسول الله ﷺ: «اللهم ارحمه» ثم يرجع فيهم فما زال كذلك وهم محدقون به؛ حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم، فقتلوه فوجد به يومئذ عشرون طعنة برمح كلها قد خلصت إلى مقتل، ومثل به أقبح المثلة يومئذ ثم قام ابن أخيه فقاتل قتاله حتى قتل.

عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ رضى الله عنه:

قال ابن إسحاق: إن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسْد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله - عز وجل- قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ فقال: «إن بنيَّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه، والخروج معك فيه فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة»، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم أن لاتمنعوه؛ لعل الله يرزقه الشهادة» فخرج معه فقتل يوم أحد [١].

أَبُو حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَان وثابت بن اليمان رضى الله عنهما

لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش فى الآطام[٢] مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: ما أبا لك ما تنتظر فوالله لا بقى الواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار[٣] إنما نحن هامة[٤] اليوم أو غدًا، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ فأخذ أسيافها ثم خرجا؛ حتى دخلا فى الناس ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه، ولا يعرفونه فقال حذيفة: أبى، فقالوا: والله ما عرفناه (وصدقوا) فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه - يعطيه الدية- فتصدق

---

(١) ابن هشام (١/ ٤٤٦ - ٤٤٧).

(٢) الآطام: الحصون.

(٣) ظمأ الحمار: مقدار ما بين شربتي حمار، وأقصر الأظماء ظمأ الحمار.

(٤) هامة: أي نموت اليوم أو غدًا.

به حذيفة على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا [١] .

الأُمُورُ بِخَوَاتِيمِهَا :

إن الأمور بخواتيمها وقد وقع فى غزوة أحد ما يحقق هذه القاعدة المهمة فى هذا الدين فقد وقع حادثان يؤكدان هذا الأمر فيهما عبرة وعظة لكل مسلم:

شَأْنُ الأصيرم رضى الله عنه :

اسمه عمرو بن ثابت بن وقش ، عرض عليه الإسلام فلم يسلم ، وروى قصته أبو هريرة - رضى الله عنه- : إن الأصيرم كان يأبى الإسلام على قومه فجاء ذات يوم ورسول الله ﷺ وأصحابه بأحد فقال: «**أين سعد بن معاذ؟**» فقيل: بأحد ، فقال: «**أين بنو أخيه**» ؟ ، قيل: بأحد فسأل عن قومه ، فقيل: بأحد ، فبدا له الإسلام فأسلم ، وأخذ سيفه ورمحه وأخذ لأمته وركب فرسه فعدا ؛ حتى دخل فى عرض الناس ، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو ، قال: إنى قد آمنت فقاتل ؛ حتى أثخنته الجراحة ، فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به فقالوا: والله إن هذا للأصيرم ما جاء به لقد تركناه وإنه منكر لهذا الحديث ، فسألوه: ما جاء بك؟ أحرب على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ فقال: بل رغبة فى الإسلام آمنت بالله تعالى ورسوله ﷺ وأسلمت ، ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله ﷺ ثم قاتلت ؛ حتى أصابنى ما أصابنى ، وإن مت فأموالى إلى محمد يضعها حيث شاء ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «**إنه من أهل الجنة**» وقيل: مات فدخل الجنة ، وما صلى من صلاة فقال النبي ﷺ : «**عمل قليلاً وأجر كثيرًا**» [٢] .

شَأْنُ مخيريق :

لما كانت غزوة أحد وخرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين جمع قومه اليهود وقال لهم: يا معشر اليهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا: إن اليوم يوم السبت قال: لا سبت لكم .

فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فما لى لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ابن هشام ص ٤٤٣ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٣٥ - ١٣٦) .

رسول الله ﷺ فقاتل معه ؛ حتى قتل فقال رسول الله ﷺ : «**مخيريق خير يهود**» [١] .

إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ:

كان ممن قاتل يوم أحد رجل يدعى: قزمان وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له: «**إنه لمن أهل النار**» فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديدًا فقتل - وحده- ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظفر فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ؛ ولولا ذلك ما قاتلت فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهمًا من كنانته فقتل نفسه[٢] .

ثَانِيًا: مَقْتَلُ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ:

كان أبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إن عندى العود فرسًا أعلفه كل يوم أقتلك عليه ، فقال رسول الله ﷺ : «**بل أنا أقتلك إن شاء الله**».

فلما كان يوم أحد وأسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول: أي محمد لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال ﷺ : «**دعوه**» فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطاير عنه من حوله تطاير الشعراء[٣] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ [٤] منها عن فرسه مرارًا فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشًا غير كبير فاحتقن الدم قال: قتلنى - والله- محمد ، قالوا له: ذهب والله فؤادك ، والله إن بك من بأس ، قال: إنه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف[٥] وهم قافلون به إلى مكة[٦] .

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٣٥ - ١٣٦) .
(٢) ابن هشام (١ / ٤٤٤) .
(٣) الشعراء: ذباب له لدغ .
(٤) تدأدأ: تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .
(٥) سرف: موضع على ستة أميال من مكة .
(٦) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٣٨) .

مَا بَعْدَ المعْرَكَة

تَفَاخُرُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى المسْلِمِينَ بَعْدَ المعْرَكَةِ وَحَدِيثُهُ مَعَ عُمَرَ:

عندما أراد أَبُو سُفْيَانَ الانصراف وَأَشْرَفَ على الجبل فَقَالَ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ: «**فَقَالَ لا تُجِيبُوهُ**» فَقَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ[1]: «**لا تُجِيبُوهُ**» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاءِ قُتِلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لأَجَابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ[2]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ: قَالَ قُولُوا: «**اللَّهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ**» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أنعمت فعال[3] يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ وَتَجِدُونَ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: لا سَوَاءً قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ.

ثم قال أبو سفيان: هلم إليَّ يا عمر فقال رسول الله ﷺ: «**ائته فانظر ما شأنه؟**» فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدًا؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليستمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «**قل نعم هو بيننا وبينك موعد**»[4].

خُرُوجُ عَلِيٍّ فِي آثَارِ المشْرِكِينَ:

بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: «**اخرج فى آثار القوم؛ فانظر ماذا يصنعون؟ وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل[5] وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**» قال علي: فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل

---

(١) (صحيح): رواه البخاري ٤٠٤٣، السيرة النبوية الصلابي (٢ / ١٤١).

(٢) اعل هبل: ظهر

(٣) أنعمت فعال: أي ارتفع.

(٤) الرحيق المختوم (١ / ٤٤٨).

(٥) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.

ووجهوا إلى مكة[١] .

تَفَقُّدُ الرَّسُولِ ﷺ لِلشُّهَدَاءِ ودَفْنُهُم :

بعد أن انسحب أبو سفيان من أرض المعركة ذهب الرسول ﷺ ؛ ليتفقد أصحابه - رضى الله عنهم- فمر على بعضهم ، ومنهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وحنظلة بن أبى عامر وسعد بن الربيع والأصيرم وبقية الصحابة ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ابْنِ صُعَيْرٍ قَالَ: لَمَّا أَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ فَقَالَ[٢]:«**أنا شهيد عَلَى هَؤُلاءِ مَا مِنْ جريح جُرِحَ فِي اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إلا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَة وَجُرْحُهُ يَدْمَى اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ انْظُرُوا أَكْثَرَهُمْ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ فَقَدِّمُوهُ أَمَامَهُمْ فِي الْقَبْرِ**».

وفي البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ[٣]:«**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسَّلُوا ، وعن جابر بن عبدالله ، أمر بقتلى أحد أن يردوا إلى مصارعهم وكانوا قد نقلو إلى المدينة [٤] .

حُزْنُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى عَمِّهِ حَمْزَةَ وتَوَعُّدُهُ المشْرِكِينَ بِالمثْلَةِ :

ولما رأى رسول الله حمزة بن عبد المطلب وقد مثل به حزن حزنًا شديدًا ، وبكى حتى نشغ[٥] من البكاء[٦] وقال ﷺ : «**لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته؛ حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم**».

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا: والله لئن ظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مُثلة لم يمثلها أحد من العرب .

---

(١) ابن هشام (١ / ٤٤٨) .
(٢) رواه أحمد ٢٣١٤٥ .
(٣) رواه البخاري ١٣٤٣ .
(٤) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٤٢ - ١٤٣) .
(٥) النشغ: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشى .
(٦) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٤٣) .

ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبدًا! ما وقفت موقفًا قط أغيظ إليَّ من هذا» ثم قال: «جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله» [١].

النهي عن المثلة:

قال ابن إسحاق عن ابن عباس: إن الله - عز وجل- أنزل في قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨] فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة، روى ابن إسحاق بسنده عن سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ[٢]: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ[٣].

دُعَاءُ الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ:

صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم أحد قاعدًا من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعودًا[٤] ولَمَّا انْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا» فَقَالَ[٥]: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ وَلا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ وَلا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ

---

(١) ابن هشام (١ / ٤٤٩ - ٤٥٠).
(٢) رواه أبو ادود ٢٦٦٧، ابن هشام (١/ ٤٥٠).
(٣) ابن هشام (١/ ٤٥٠).
(٤) ابن هشام (١/ ٤٤٢).
(٥) رواه أحمد١٥٠٦٦، الرحيق المختوم ص ٤٥١.

الْحَقِّ» [١] .

الرُّجُوعُ إِلَى المدِينَةِ وَنَوَادِرُ الحُبِّ وَالتَّفَانِي:

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه انصرف راجعًا إلى المدينة ، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفانى من المؤمنات الصادقات كما ظهرت من المؤمنين فى أثناء المعركة ؛ لقيته فى الطريق حمنة بنت جحش فنعى إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ : «**إن زوج المرأة منها لبمكان**».

ومر بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها بأحد فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ قالوا خيرًا يا أم فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبين ، قالت: أرونيه ؛ حتى أنظر إليه فأشير إليها ، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل ، تريد صغيرة .

وجاءت إليه أم سعد بن معاذ تعدو ، وسعد آخذ بلجام فرسه فقال: يا رسول الله أمي ، فقال: «**مرحبًا بها**» ووقف لها فلما دنت عزاها بابنها عمرو بن معاذ فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا فقد اشتويت المصيبة[٢] ثم دعا لأهل من قتل بأحد ، وقال: «**يا أم سعد ابشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعًا، وقد شفعوا فى أهلهم جميعًا**» .

قالت: رضينا يا رسول الله ﷺ ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت: يا رسول الله ﷺ ادع لمن خلفوا ، فقال: «**اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلّفوا**» [٣] .

غَسْلُ السُّيُوفِ:

وانتهى رسول الله ﷺ مساء ذلك اليوم يوم السبت السابع من شهر شوال سنة٣هـ إلى المدينة [٤] ، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: «**اغسلى عن هذا دمه يا بنية؛ فوالله لقد صدقنى اليوم**» وناولها على بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا

---

(١) الرحيق المختوم ص ٤٥١ .
(٢) اشتويت المصيبة: استقللتها .
(٣) الرحيق المختوم ص ٢٥٢ .
(٤) الرحيق المختوم ص ٢٥٢ .

أيضًا فاغسلى عنه دمه ؛ فوالله لقد صدقنى اليوم فقال رسول الله ﷺ : «**لئن كنت صدقت القتال صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة**»[١] .

قَتْلَى الفَرِيقَيْنِ:

اتفقت جل الروايات على أن قتلى المسلمين كانوا سبعين ، وكانت الأغلبية الساحقة من الأنصار فقد قتل منهم خمسة وستون رجلاً واحد ، وأربعون من الخزرج ، وأربعة وعشرون من الأوس ، وقتل رجل من اليهود ، وأما شهداء المهاجرين فكانوا أربعة فقط .

وأما قتلى المشركين فقد ذكر ابن إسحاق أنهم اثنان وعشرون قتيلاً ، ولكن الإحصاء الدقيق بعد تعميق النظر فى جميع تفاصيل المعركة التى ذكرها أهل المغازى والسير والتى تتضمن ذكر قتلى المشركين فى مختلف مراحل المعركة يفيد أن عدد قتلى المشركين سبعة وثلاثون لا اثنان وعشرون والله أعلم[٢] .

مَصِيرُ شُهَدَاءِ أُحُدٍ:

قال ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [٣]:«**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلا يَنْكُلُوا[٤] عَنْ الْحَرْبِ**»، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاءِ الآياتِ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] [٥] .

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ:

لما عاد أبو سفيان وأصحابه نظر بعضهم إلى بعض ، وتلاوموا فيما بينهم ، وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا ؛ أصبتم شوكتهم وحدهم ثم تركتموهم ، وقد بقى منهم

---

(١) ابن هشام (١/ ٤٥٤) .
(٢) الرحيق المختوم ٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٣) رواه أحمد٢٣٨٤ ، ابن هشام (١ / ٤٥٩) .
(٤) لا ينكلوا: لا يجبنوا ولا ينكصوا .
(٥) ابن هشام (١ / ٤٥٩) .

روؤس يجمعون لكم ؛ فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى فى الناس وندبهم إلى المسير إلى لقاء عدوهم وقال: «**لا يخرج معنا إلا من شهد القتال**» .

فقال له عبد الله بن أبى: أركب معك ، قال: «**لا**» فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف ، وقالوا: سمعًا وطاعة ، واستأذن جابر بن عبد الله وقال: يا رسول الله إنى أحب ألا تشهد مشهدًا إلا كنت معك ، وإنما خلفنى أبى على بناته ، فأذن لي أسير معك فأذن له فسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه ؛ حتى بلغوا حمراء الأسد[1] وأقبل معبد بن أبى معبد الخزاعى إلى رسول الله ﷺ فأسلم فأمره أن يلحق بأبى سفيان فيخذّله ، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه ، فقال: ما وراءك يا معبد ، فقال: محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم وخرجوا فى جمع لم يخرجوا فى مثله .

وقد ندم من كان تخلّف عنهم من أصحابهم ، فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترتحل ؛ حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة ، فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم ، قال: فلا تفعل ؛ فإنى لك ناصح ، فرجعوا على أعقابهم إلى مكة ، ولقى أبو سفيان بعض المشركين ؛ يريد المدينة فقال: هل لك أن تبلّغ محمدًا رسالة وأوقر لك راحلتك زبيبًا إذا أتيت إلى مكة قال: نعم . أبلغ محمدًا أنا قد أجمعنا الكرة ؛ لنستأصله ونستأصل أصحابه فلما بلغهم قوله قالوا: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤] [2] .

أقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد بعد مقدمه يوم الأحد - الاثنين- الثلاثاء- الأربعاء - ٩ ، ١٠ ، ١١ شوال سنة ٣ هـ - ثم رجع إلى المدينة وأخذ رسول الله ﷺ قبل الرجوع إلى المدينة أبا عزة الجمحى ، وهو الذى كان قد منَّ عليه من أسارى بدر ؛ لفقره وكثرة بناته ، على ألا يظاهر عليه أحدًا ، ولكنه نكث وغدر فحرض الناس بشعره على النبى ﷺ وخرج ؛ لمقاتلتهم فى أحد فلما أخذه رسول الله ﷺ قال: يا محمد أقلنى وامنن علىّ ودعنى لبناتى ، وأعطيك عهدًا ألا أعود لمثل ما فعلت فقال ﷺ : «**لا تمسح عارضيك بمكة، وتقول: خدعت محمدًا مرتين لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**» ثم أمر الزبير أو عاصم بن

---

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣٤١ .

ثابت فضرب عنقه [١].

كما أمر ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر بقتل معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد، وكان قد لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبى ﷺ وقال: «**إنكما ستجدانه بموضع كذا**» وكذا فوجداه فقتلاه [٢].

الدُّرُوسُ المستَفَادَةُ مِنَ المعْرَكَةِ:

تنطوى غزوة أحد على دروس بالغة الأهمية للمسلمين فى كل عصر من العصور فلنتأمل هذه الدروس العظيمة:-

١- التزام الرسول ﷺ مبدأ التشاور مع أصحابه فى كل أمر يحتمل المشاورة والبحث مع وجود فارق واحد لم نجده من قبل؛ وهو رفض الرسول ﷺ أن يعود على موافقته لأصحابه الذين اقترحوا الخروج للقاء العدو وخارج المدينة بعد أن لبس درعه وأخذ أهبته للقتال رغم أنهم ندموا وعادوا عن رأيهم ورجوه البقاء إذا كان يرى ذلك.

ولعل الحكمة من ذلك أن الأمور والقضايا الحربية تحتاج مع المشورة إلى قدر كبير من الحزم والعزم فكيف يتراجع بعد أن لبس درعه وأخذ أهبته للقتال كما أن المعنى الذى قد يتولد عن تقاعسه ﷺ عن الخروج بعد أن طلع عليهم مستعدًّا؛ لذلك إنما هو الضعف والاضطراب فى الإرادة وهو كثيرًا ما يكون نابعًا من الخوف والحذر الذى لا معنى له؛ ولذلك أجابهم بعبارة فيها كل الجزم والعزم دون أن يلتفت إلى لغط القوم وتعاقبهم فيما بينهم قائلا: «**ما ينبغى لنبى لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**».

٢- انسحاب عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الجيش؛ لأنه لا يريد أن يعرض نفسه هو ومن معه لمخاطر القتال كشف المنافقين وأظهر قوة وإخلاص المؤمنين.

٣- رفض النبى ﷺ الاستعانة بغير المسلمين رغم قلة عدد المسلمين وقال: «**لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك**».

٤- ومما يجدر التأمل فيه حال سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما طفلان لا

---

(١) الرحيق المختوم ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) ابن هشام (١ / ٤٥٧ - ٤٥٨).

يـزيد عمر كل منهما على خمس عشرة سنة ، وكيف جاءا يناشدان الرسول ﷺ أن يسمح لهمـا بالاشـتراك فـى القـتال ؛ وأى قتال؟! قتال قائم على التأهب للموت لا تجد فيه أي معنـى مـن الـتعادل بـين الفـريقين: المسلمين وعددهم لا يزيد على سبعمائة ، والمشركين وهم يتجاوزون ثلاثة آلاف مقاتل .

إن سـر هذا الإقدام على الموت من مثل هؤلاء الأطفال إنما هو الإيمان العظيم الذى اسـتحوذ علـى القلب والذى ترتبت عليه محبة عارمة لرسول الله ﷺ فحيثما وجد الإيمان ووجـدت هـذه المحـبة ، ظهـر هذا الإقدام والاستبسال ، وحيثما ضعف الإيمان وضعفت المحبة فى القلب انقلب الإقدام إحجامًا والاستبسال كسلاً وتقاعسًا .

٥- إذا تأملـنا حـال رسـول الله ﷺ وهـو ينظم صفوف أصحابه ويرتب أجنحتهم ، ويـضع الحامـية اللازمـة فـى مؤخرة المسلمين ، ويأمر الرماة أن لا يغادروا أماكنهم مهما وجدوا من أمر إخوانهم المقاتلين ؛ حتى يتلقوا الأوامر منه ﷺ اتضحت لنا حقيقة بارزة ، ولاحت لنا من ورائها ظاهرة هامة:

أمـا الحقـيقة الـبارزة فهـى الـبراعة العـسكرية التـى كانت تتصف بها قيادته ﷺ فى الحروب ، ولا ريب أن الله - تعالى- قد جهزه بعبقرية نادرة فى هذا المجال ، ولكننا نقول: إن هذه العبقرية والبراعة إنما يأتى كل منهما من وراء نبوته ورسالته السماوية .

وأمـا الظاهـرة التـى تلوح للتأمل من خلال توصياته الدقيقة لأصحابه عامة وللرماة خاصـة فهـى ظاهـرة ذات علاقـة وثـيقة بما قد تم بعد ذلك من خروج بعض الرماة على أوامـره ﷺ ، فكـأن النبـى ﷺ قـد استـشف بفراسة النبوة أو بوحى من الله - تعالى- هذا الـذى قـد حـدث فـيما بعـد فراح يؤكد التوصيات والأوامر ، وكأنه فى ذلك يُجرى مع أصحابه مناورة حية مع عدو لهم هو النفس وأهواؤها وما تنطوى عليه من طمع فى المال والغـنائم والمـناورة ؛ مهمـا كانت نتيجتها تفيد فائدة عظيمة ، وربما كانت النتيجة السلبية أدعى للاستفادة من النتيجة الإيجابية .

٦- إذا تأملـنا مـدة الحـرب التـى اسـتمرت بين المسلمين وأعدائهم فى هذه الغزوة وجدناها تنقسم إلى شطرين:

الشطر الأول: وفيه التزم المسلمون أماكنهم وأوامرهم التى كانوا قد تلقوها من قائدهم ﷺ ، فكان من ثمرة ذلك سارع النصر إلى المسلمين وسارعت الهزيمة إلى صفوف

المشركين، واكتسح الرعب أفئدة الآلاف الثلاثة فانحسروا عن أماكنهم وأخذوا يولون الأدبار، وهذا الشطر هو الذى علقت عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

الشطر الثانى: وفيه أخذ المسلمون ينطلقون خلف المشركين ليجهزوا على من يدركونه منهم، وليأخذوا الغنائم والأسلاب.

وحينئذ خالف الرماة أوامر الرسول ﷺ فنزلوا من فوق الجبل وانطلقوا يشاركون فى أخذ الغنائم؛ ظنًّا منهم أن الفترة الزمنية للأوامر التى تلقوها من رسول الله ﷺ قد انتهت وقد خالفهم فى هذا الاجتهاد بعض زملائهم، وفى مقدمتهم عبد الله بن جبير فماذا كانت النتيجة؟.

انقلب الرعب الذى داهم أفئدة المشركين إلى استبسال جديد فنظر خالد بن الوليد حوله فوجد الجبل المحصن قد خلا من حراسه؛ فلمعت الفكرة العسكرية في رأسه، وما هو إلا أن استدار إلى الجبل مع من معه من المشركين، فقتلوا من بقى الرماة، وأوجعوا المسلمين رميًا بالسهام من خلفهم، وجاء الرعب هذه المرة ليغزوا أفئدة المسلمين كما رأينا وهذا الشطر من المعركة هو الذى علقت عليه الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

لقد كان وبال هذه الخطيئة جسيمًا، وكانت نتيجتها عامة على المسلمين جميعًا؛ بحيث لم ينجُ حتى رسول الله ﷺ من نتائجها، وتلك هى سنة الله فى الكون لم يمنعها من الاستمرار أن رسول الله ﷺ موجود فى ذلك الجيش، وأنه أحب الخلق إلى ربه - جل جلاله- فلنتأمل فى نسبة خطيئة أولئك الأفراد إلى أخطاء المسلمين المختلفة والمتنوعة اليوم والمتعلقة بشتى نواحى الحياة، نتأمل هذا لنتصور مدى لطف الله بالمسلمين إذ لا يهلكهم بما تكسب أيديهم وبتقاعسهم حتى عن أداء واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاجتماع فى كلمة واحدة على ذلك.

ولنعرف لماذا تظل الدولة الإسلامية مغلوبة على أمرها أمام الدول الباغية الأخرى رغم أن هؤلاء كفرة وأولئك مسلمون!.

٧- لقد رأينا كيف أوذى النبى ﷺ كثيرًا فى هذه الغزوة ؛ نتيجة لخطيئة أولئك الرماة ، ولكن ما الحكمة فى أن يشيع خبر مقتل الرسول ﷺ بين صفوف المسلمين؟ .

إن ارتباط المسلمين برسول الله ﷺ ووجوده فيما بينهم كان من القوة ؛ بحيث لم يكونوا يتصورون فراقه ولم يكونوا يتخيلون قدرة لهم على التماسك من بعده ، فكان أمر وفاة رسول الله ﷺ شيئًا ربخطر لهم فى بال ؛ فكان من الحكمة الباهرة أن تشيع هذه الشائعة كتجربة درسية بين تلك الدروومس العسكرية العظيمة كى يستفيق المسلمون من ورائها إلى الحقيقة التى ينبغى أن يظنوا أنفسهم لها منذ الساعة ، وإن لا يرتدوا على أعقابهم إذا وجدوا أن رسول الله ﷺ قد اختفى مما بينهم ، وفى ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] .

وقد كان لذلك أثره الإيجابى يوم أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، فقد أيقظت هذه الشائعة وما نزل بسببها من القرآن المسلمين ونبهتهم إلى الحقيقة ، فودعوا رسول الله ﷺ بقلوبهم الحزينة ثم رجعوا إلى الأمانة التى تركها بين أيديهم أمانة الدعوة والجهاد فى سبيل الله ؛ فنهضوا بها أقوياء بإيمانهم أشداء فى عقيدتهم وتوكلهم على الله .

٨- ولنتأمل ما فعله الصحابة للدفاع عن رسول الله ﷺ وهم يحمونه بأجسادهم من نبال المشركين وضرباتهم يتساقطون الواحد منهم إثر الآخر تحت وابل السهام للحفاظ على حياته ﷺ لا يبالون بغير ذلك ، وهذا يرجع إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ ثم محبة رسوله ﷺ فهما معًا سبب هذه التضحية الرائعة .

ويوم تمتلئ أفئدة المسلمين فى عصرنا هذا بنحو من هذه المحبة ؛ بحيث تبعدهم عن شهواتهم وأنانيتهم سيتغلبون على أعدائهم مهما كانت العقبات .

وإذا سألت عن السبيل إلى هذه المحبة فاعلم أنها فى كثرة الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ ، وفى كثرة التأمل والتفكير فى آلاء الله وفى سيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وشمائله ، وهذا كله بعد الاستقامة على العبادات فى خشية وحضور والتبتل إلى الله - عز وجل- بين الحين والآخر .

٩- وإذا تأملنا فيما أقدم عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه فور عودته إلى المدينة من الخروج ثانية للحاق بالمشركين ، اتضح لنا درس معركة أحد اتضاحًا كاملاً بآثاره السلبية

والإيجابية ، وظهر لنا بما لا يدع مجالاً للتوهم أن النصر إنما يكون مع الصبر وإطاعة أوامر القائد الصالح واستهداف القصد الدينى المجرد .

فقد رأينا أن النبى ﷺ لم يكد يؤذن فى الناس للخروج مرة أخرى ؛ لطلب العدو حتى تجمع أولئك الذين كانوا معه بالأمس مع ما بهم من الجروح والآلام تطلعًا إلى النصر أو الاستشهاد فى سبيل الله ، فلم يكن فيهم هذه المرة من يطمع فى غنيمة أو غرض دنيوى ، فكان نتيجة ذلك أن وقع الرعب فى قلوب المشركين ، وانقلبوا عائدين إلى مكة بعد أن كانوا يأتمرون بالرجوع إلى المدينة[١] .

أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ أُحُدٍ وَالخَنْدَق

مُحَاوَلاتُ المشْرِكِينَ لِزَعْزَعَةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّة :

كانت غزوة أحد مشجعة لأعداء الدولة الإسلامية على مواجهتها وساد الشعور لدى الأعراب المشركين بإمكان مناوشة المسلمين والتغلب عليهم ، واتجهت أنظار المشركين من الأعراب إلى غزو المدينة ؛ لاستئصال شأفتهم وكسر شوكتهم ، فطمعت بنو أسد فى الدولة الإسلامية وشرع خالد بن سفيان الهزلى لجمع الحشود ؛ لكى يهاجم بها المدينة ، وتجرأت عضل والقارة على خداع المسلمين ، وقام عامر بن الطفلى بقتل القراء الدعاة الآمنين ، وحاولت يهود بنى النضير أن تغتال رسول الله ﷺ فتصدى لهذه المحاولات الماكرة الحبيب المصطفى ﷺ بشجاعة فائقة وسياسة ماهرة وتخطيط سليم وتنفيذ دقيق ، وفيما يلى عرض لهذه المحاولات[٢] .

سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ :

أول من كان ضد المسلمين بعد نكسة أحد هم بنو أسد بن خزيمة ، فقد نقلت استخبارات المدينة أن طلحة وسلمة ابنى خويلد قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما يدعون بنى أسد بن خزيمة إلى حرب رسول الله ﷺ فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث سرية ؛ قوامها مائة وخمسون مقاتلاً من المهاجرين والأنصار ، وأمر عليهم أبا سلمة وعقد له لواء وباغت أبو سلمة بنى أسد بن خزيمة فى ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم ، فتشتتوا فى

---

(١) فقه السيرة للبوطي (١٨٨ - ١٩٦) بتصرف .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٧٥) .

الأمر وأصاب المسلمون إبلاً وشاء لهم فاستاقوها، وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين لم يلقوا حربا.

كان مبعث هذه السرية حين استهل هلال المحرم سنة ٤هـ، وعاد أبو سلمة وقد نفر عليه جرح كان قد أصابه فى أحد فلم يلبث حتى مات[١].

بَعْثُ عَبْدِاللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ:

وفى اليوم الخامس من نفس الشهر المحرم سنة٤هـ نقلت الاستخبارات أن خالد بن سفيان الهزلى يحشد الجموع لحرب المسلمين، فأرسل إليه النبى ﷺ عبد الله بن أنيس ليقضى عليه، وظل عبد الله بن أنيس غائبًا عن المدينة ثمانى عشرة ليلة، ثم قدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم وقد قتل خالد وجاء برأسه فوضعه بين يدى النبى ﷺ فأعطاه عصا وقال: «**هذه آية بينى وبينك يوم القيامة**» فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه فى أكفانه[٢].

بَعْثُ الرَّجِيعِ:

وفى شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة قدم على رسول الله ﷺ قوم من عضل وقارة وذكروا أن فيهم إسلامًا، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن فبعث معهم ستة نفر فى قول ابن إسحاق وفى رواية البخارى أنهم كانوا عشرة وأمر عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فى قول ابن إسحاق، وعند البخارى أنه عاصم ابن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فذهبوا معه فلما كانوا بالرجيع [٣] استصرخوا عليهم حيًّا من هذيل يقال لهم: بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام واقتصوا آثارهم حتى لحقوهم فأحاطوا بهم وكانوا قد لجأوا إلى فدفد[٤] وقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً [٥]، فأما مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا فقال عاصم بن ثابت:

---

(١) الرحيق المختوم ص ٢٥٨.
(٢) الرحيق المختوم ٢٥٨ - ٢٥٩.
(٣) بالرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجدة.
(٤) فدفد: مكان مرتفع.
(٥) الرحيق المختوم ص ٢٥٩.

ما علقي وأنا جلد نابل[٢] والقوس فيها وتر عنابل[١]
نزل عن صفحتها المعابل[٣] الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله[٤] نازل بالمرء والمرء إليه آئل
إن لم أقاتلكم فأمي هابل[٥]

فرماهم عاصم بالنبل ؛ حتى فنيت نبله ثم طاعنهم بالرمح ؛ حتى كسر رمحه ، وبقى السيف فقال: اللهم حميت دينك أول نهارى فاحم لى لحمى آخره ، وكانوا يجردون كل من قتل من أصحابه فكسر غمد سيفه ، ثم قاتل حتى قتل وقد جرح رجلين وقتل واحدًا ، وكان يقول وهو يقاتل:

أنا أبو سليمان[٦] ومثلى رامى ورثت مجدًا معشرًا كرامًا

ثم شرعوا فيه الأسنة حتى قتلوه[٧] فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ؛ ليبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها الحارث ومسافعًا يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفة الخمر فمنعه الدبر [٨] فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا: دعوه حتى يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى فاحتمل عاصمًا فذهب به فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته [٩] فقتل عاصم فى سبعة من أفراد السرية بالنبال ، ثم أعطى الأعراب الأمان من جديد للثلاثة الباقين فقبلوا غير أنهم سرعان ماغدروا بهم بعد ما تمكنوا منهم ، وقد قاومهم عبد الله بن طارق فقتلوه ، واقتادوا الاثنين إلى مكة وهما خبيب وزيد بن الدثنة ، فباعوهما لقريش .

---

(١) عنابل: الوتر الغليظ وقيل: الصلب .
(٢) نابل: الذي يعمل بالنبل .
(٣) المعابل: جمع معبلة وهو نصل طويل وعريض .
(٤) حم الإله: قدره .
(٥) ابن هشام (١ / ٤٦٢) .
(٦) كان عاصم يكنى أبا سليمان .
(٧) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٨١) .
(٨) الدبر: الزنانير والنحل .
(٩) ابن هشام (١ / ٤٦٢ - ٤٦٣) .

فأما خبيب بن عدى فقد اشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه بالحارث الذى قتله خبيب يوم بدر ، فمكث عندهم أسيرًا حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ؛ ليستحد بها فأعارته ، وغفلت عن صبى لها فجلس على فخذه ففزعت المرأة لئلا يقتله انتقاما منه فقال خبيب: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى فكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق فى الحديد ، وما كان إلا لرزق رزقه الله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعونى أصلى ركعتين ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا مابى جزع من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل ثم قال: اللهم أحصهم عددا وقاتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا ثم قال[1]:

لقد أجمع الأحزاب حولى وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونسائهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى بعد كربتى ... وما جمع الأحزاب لى عند مضجعى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد بؤس مطمعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه ... فقد زرفت عيناى من غير مدمع
ولست أبالى حين أقتل مسلمًا ... على أى شق كان فى الله مضجعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[2]

فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمدًا عندنا يضرب عنقه وإنك فى أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرنى أنى فى أهلى وأن محمدًا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه ثم قتل وصلبوه ووكلوا به من يحرس جثته ، فجاء عمرو بن أمية الضمرى فاحتمله بجذعه ليلاً فذهب به ودفنه .

وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية وقتله بأبيه أمية بن خلف الذى قتل بدر وقد سأله أبو سفيان قبل قتله: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك ، فقال: والله ما أحب أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه وإنى جالس فى أهلى فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا

---

(١) السيرة النبوية (٢ / ١٨٢) .
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٣٤٩ - ٣٥٠ .

يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا [١] .

مَأْسَاةُ بِئْرِ مَعُونَة :

وفى الشهر نفسه الذى وقعت فيه مأساة الرجيع ، وقعت مأساة أخرى أشد وأقطع من الأولى وهى التى تعرف ببئر معونة:

وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو بمُلاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد ، فقال يا رسول الله ﷺ : لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم ، فقال: «**إنى أخاف عليهم أهل نجد**» فقال أبو براء: أنا جار لهم ، فبعث معه أربعين رجلاً فى قول ابن إسحاق وفى الصحيح أنهم كانوا سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بنى ساعدة الملقب بالمُعنِق ليموت[٢] ، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم ، فساروا يحتطبون بالنهار يشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن ، ويصلون بالليل ؛ حتى نزلوا بئر معونة وهى أرض بين بنى عامر وحرَّة بنى سليم ، فنزلوا هناك ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وأمر رجلاً فطعنه بالحربة من خلفه فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال حرام: الله أكبر ، فزت ورب الكعبة .

ثم استنفر عدو الله لفوره بنى سليم فأجابته عُصيَّة ورعل وذكوان ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ فقاتلوا ؛ حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار فإنه ارتُثَّ [٣] من بين القتلى فعاش ؛ حتى قتل يوم الخندق .

وكان عمرو بن أمية الضمرى والمنذر بن عقبة بن عامر فى سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة فنزل المنذر فقاتل المشركين ؛ حتى قتل مع أصحابه وأسر عمرو بن أمية الضمرى فلما أخبر أنه من مُضَر جَزَّ عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه .

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٨٣ - ١٨٤) .

(٢) المعنق ليموت: لقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٣) ارتث: رُفِعَ وبه جراح .

ورجع عمرو بن أمية الضمرى إلى النبى ﷺ حاملاً معه أنباء المصاب الفادح مصرع سبعين من أفاضل المسلمين تذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد إلا أن هؤلاء ذهبوا فى قتال واضح ، وأولئك ذهبوا فى غدرة شائنة[١] .

ولما كان عمرو بن أمية فى الطريق قاصدًا المدينة نزل فى طريقه فى ظل والتقى برجلين من بنى عامر[٢] وكان معهم عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزل ممن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر فأمهلهما ؛ حتى ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ قال ﷺ : «**لقد قتلت قتيلين لأدينهما**» [٣] .

وقد تألم النبى ﷺ لأجل هذه المأساة ولأجل الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألمًا شديدًا ، وتغلب عليه الحزن والقلق ؛ حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التى قامت بالغدر والفتك فى أصحابه ، ففى الصحيح عن أنس قال: دعا النبى ﷺ على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة ثلاثين صباحًا يدعو فى صلاة الفجر على رعل وذكوان ولحيان وعصية ، ويقول: «**عصية عصت الله ورسوله**» فأنزل الله - تعالى- على نبيه قرآنًا قرأناه حتى نسخ بعد: "بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه" فترك رسول الله ﷺ قنوته[٤] .

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

نلاحظ فى حادثة الرجيع وبئر معونة دلالات هامة نجملها فيما يلى:

١- تدل كل من حادثة الرجيع وبئر معونة على اشتراك المسلمين كلهم فى مسئولية الدعوة إلى الإسلام وتبصير الناس بحقيقته وأحكام فليس أمر الدعوة موكولاً إلى الأنبياء والرسل وحدهم أو إلى خلفائهم والعلماء دون غيرهم وإنك لتستشعر مدى أهمية القيام بواجب هذه الدعوة من إرسال النبى ﷺ أولئك

---

(١) الرحيق المختوم ٢٦٠ - ٢٦١ .
(٢) وقيل: من بني كلاب .
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٩٠ - ١٩١) .
(٤) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣٥٥ .

القراء الذين بلغت عدتهم سبعين شابًا من خيرة أصحابه ﷺ، ولما يمض أمد طويل على مقتل أولئك النفر الستة الذين كان قد بعثهم فى ذلك السبيل نفسه[١].

٢- حرص خبيب مع أنه فى أسر المشركين، ويعلم أنه سيقتل بين عشية أو ضحاها على سنة الاستحداد واستعار السكين لذلك، وفى هذا تذكير لمن يستهين بكثير من السنن، بل والواجبات بحجة أنه لا ينبغى أن ينشغل المسلمون بذلك للظروف التى تمر بها الأمة وفى الواقع لا منافاة بين تعظيم السنة والدخول فى شرائع الإسلام كافة[٢].

٣- إذا تجاوزنا ما تنطوى عليه كل من حادثتى الرجيع وبئر معونة من دلالة واضحة على مدى ما كانت تفيض به أفئدة المشركين من غل وحقد على المؤمنين؛ حتى إنهم ارتضوا لأنفسهم أحط مظاهر الخيانة والغدر ابتغاء إطفاء غليل أحقادهم على المسلمين أقول إذا تجاوزنا ذلك، وقفنا على صورة رائعة لعكس هذه الطبيعة تمامًا لدى أولئك المسلمين الذين راحوا ضحية تلك الخيانة والأحقاد، فقد رأيت كيف حبس خبيب - رضى الله عنه- أسيرًا فى بيت بنى الحارث فى انتظار ساعة قتله، وكان قد استعار شفرة ليصلح بها شأنه ويتطهر استعدادًا للموت، وفى البيت طفل صغير راح يدرك نحوه فى غفلة من أمه، ولقد كانت هذه اللحظة فى حساب من يتعلق بالحياة ويفكر فى الانتقام فرصة رائعة لمساومة أو غدر فى مقابلة غدر، ولقد كان هذا هو حساب أهل البيت كلهم فما أن انتبهت أم الطفل إلى انصرافه نحو خبيب؛ حتى هبت مذعورة لتخلصه من براثن موت مؤكدًا، ولكنها وقفت مندهشة عندما رأت طفلها، وقد أجلسه خبيب فى حجره يلاطفه كأنه أب شفوق! ونظر إليها وقد ألَمَّ بما فى نفسها من الخوف وقال لها فى هدوء المؤمن الحليم: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل إن شاء الله.

فانظر إلى معجزة التربية الإسلامية للإنسان! خبيب هذا، وأولئك المشركون

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ١٩٩.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٨٥).

الحاقدون الذين راحوا يصنعون له الموت ظلمًا وعدوانًا، عرب أنبتتهم أرض واحدة وأظلتهم طبائع وتقاليد واحدة، ولكن خبيبًا اعتنق الإسلام فأخرجه الإسلام إنسانًا آخر، وأولئك عكفوا على ضلالاتهم فحبستهم ضلالاتهم فى طبائعهم المتوحشة الغادرة، فما أعظم ما يفعله الإسلام فى الطبيعة الإنسانية من تغيير وتحويل!.

٤- إذا تأملنا فى جواب زيد بن الدثنة لأبى سفيان قبيل قتله، علمنا مدى المحبة التى تنطوى عليها أفئدة الصحابة لرسول الله ﷺ، ولا ريب أن هذه المحبة من هذه الأسباب التى حببت إلى قلوبهم كل تضحية وبذل فى سبيل دين الله تعالى والدفاع عن رسوله، ومهما بلغ المسلم فى إيمانه فإنه بدون مثل هذه المحبة لرسول الله ﷺ يعتبر ناقص الإيمان وإنها لحقيقة صرح بها رسول الله ﷺ إذ قال[1]: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**».

* * *

(١) (صحيح): البخارى ١٤، النسائى ٥٠١٥. فقه السيرة للبوطي ٢٠٠ - ٢٠١.

إِجْلاَءُ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ

أصاب يهود المدينة الخوف والرعب طيلة الفترة التى تفصل بين مقتل كعب بن الأشراف وبين معركة أحد التى جرت فى شوال عام ٣هـ، ولكن الهزيمة التى حلت بالمسلمين فى تلك المعركة إلى جانب مقتل أصحاب الرجيع وبئر معونة أحيت فى نفوس المشركين والمنافقين الأمل من جديد بتحقيق مطامعهم وأغراضهم، وأزالت فى قلوب اليهود الهلع فعادوا إلى أساليب الدس والمكر والخداع، وشرعوا فى حشد حصونهم بالسلاح والعتاد للانقضاض على المسلمين ودولتهم ثم صمموا على قتل النبى ﷺ والغدر به [١].

تَارِيخُ الغَزْوَةِ وَأَسْبَابُهَا:

وقعت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة [٢] وذلك لعدة أسباب من أهمها:-

١- نقض بنى النضير عهودهم التى تحتم عليهم ألا يؤووا عدوًا للمسلمين، ولم يكتفوا بهذا النقض بل أرشدوا الأعداد إلى مواطن الضعف فى المدينة.

وقد حصل ذلك فى غزوة السويق؛ حيث نذر أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة بعد غزوة بدر نذرًا ألا يمس رأسه ماء من جنابة؛ حتى يغزو المدينة، فلما خرج فى مائتى راكب قاصدًا المدينة قام سيد بنى النضير سلام بن مشكم بالوقوف معه وضيافته وأبطن له خبر الناس ولم تكن مخابرات المدينة غافلة عن ذلك.

٢- محاولة اغتيال النبى ﷺ:

خرج النبى ﷺ فى نفر من أصحابه عن طريق قباء إلى ديار بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين العامريين اللذين ذهبا ضحية جهل عمرو بن أمية الضمرى بجوار رسول الله ﷺ لهما وذلك تنفيذًا للعهد الذى كان بين النبى ﷺ وبين بنى النضير حول أداء الديات وإقرارًا لما كان بين بنى النضير وبين بنى

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٠٣).
(٢) ابن هشام ١ / ٤٧١.

عامر من عقود وأحلاف [١] فقالوا: نفعل يا أبا القاسم اجلس ها هنا ؛ حتى نقضى حاجتك ، فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم ؛ بما وعدوا ، وجلس معه أبو بكر وعمرو وعلى وطائفه من أصحابه .

وخلا اليهود بعضهم إلى بعض ، وسول لهم الشيطان الشقاء الذى كتب عليهم فتآمروا بقتله ﷺ وقالوا: أيكم يأخذ هذه الوحى ويصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا فقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه ، ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم .

ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله ﷺ يعلمه بما هموا به فنهض مسرعًا وتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعر بك ، فأخبرهم بما همت به يهود .

إِنْذَارُ بَنِي النَّضِيرِ:

وما لبث رسول الله ﷺ أن بعث محمد بن سلمة إلى بنى النضير يقول لهم:" اخرجوا من المدينة ولا تساكنونى بها وقد أجلتكم عشرًا فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه" ولم يجد اليهود مناصًا من الخروج فأقاموا أيامًا يتجهزون للرحيل ؛ إلى أن بعث إليهم عبد الله بن أبى ابن سلول رئيس المنافقين أن اثبتوا وتمنّعوا ولا تخرجوا من دياركم ؛ فإن معى ألفين يدخلون حصنكم فيموتون دونكم: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحشر: ١١] .

وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فعادت لليهود ثقتهم واستقر رأيهم على المناوأة ، وطمع رئيسهم حيى بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين ، فبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

حِصَارُ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ وَإِجْلاَؤُهُم:

فلما بلغ رسول الله ﷺ جواب حيى بن أخطب كبر وكبر أصحابه ، ثم نهض لمناجزة القوم فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وسار إليهم ، وعلي بن أبى طالب يحمل

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤) .

اللواء ، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار ، والتجأ بنى النضير إلى حصونهم فأقاموا عليهم يرمون بالنبل والحجارة ، وكانت نخيلهم وبساتينهم عونًا لهم فى ذلك فأمر بقطعها وتحريقها [١] فنادوه أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها [٢]! وفى ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الحشر: ٥] .

واعتزلتم قريظة وخانهم عبد الله بن أُبيٍّ وحلفاؤهم من غطفان ، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيرًا أو يدفع عنهم شرًّا ؛ ولهذا شبه - سبحانه وتعالى- قصتهم وجعل مثلهم: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحشر: ١٦] .

ولم يطل الحصار فقد دام ست ليال فقط وقيل: خمس عشرة ليلة ؛ حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب فاندحروا وتهيأ للاستسلام ولإلقاء السلاح فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : نحن نخرج من المدينة فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم ، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح .

فنزلوا على ذلك وخربوا بيوتهم بأيديهم ؛ ليحملوا الأبواب والشبابيك بل حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف ثم حملوا النساء والصبيان ، وتحملوا على ستمائة بعير فترحل أكثرهم وأكابرهم كحى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق إلى خيبر ، وذهبت طائفة منهم إلى الشام وأسلم منهم رجلان فقط يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما [٣]! ولما غنم ﷺ أموال بنى النضير دعا ثابت بن قيس فقال: «**ادع لى قومك**» ، قال ثابت: الخزرج؟ فقال ﷺ : «**الأنصار كلها**» فدعا له الأوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم فى منازلهم وأموالهم وأثرتهم على أنفسهم ثم قال: «**إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتم وخرجوا من دوركم**» فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: يا رسول الله

---

(١) الرحيق المختوم ٢٦٢ - ٢٦٣ .
(٢) ابن هشام ١ / ٤٧١ .
(٣) الرحيق المختوم ص ٢٦٣ .

بل نقسم بين المهاجرين، ويكونون فى دورنا كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله وقسم ﷺ ما أفاء الله، وأعطى المهاجرين ولم يعط أحدًا من الأنصار شيئًا غير أبى دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما [١]، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ثم يجعل ما بقى من السلاح والكراع [٢] عدة فى سبيل الله [٣].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

إذغ تأملنا فى غزوة بنى النضير استخرجنا منها دروسًا:

١- هذه صورة ثانية من طبيعة الغدر والخيانة المتأصلة فى نفوس اليهود وقد رأينا من قبلها صورة أخرى من خيانتهم، فيما أقدم عليه يهود بنى قينقاع وتلك حقيقة تاريخية صدقتها الوقائع التى لا تحصى؛ وذلك هو سر اللعنة الإلهية التى حاقت بهم وسجلها بيان الله تعالى فى قوله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨] [٤].

٢- قال تعالى فى الآية السابعة من سشورة الحشر التى نزلت فى بنى النضير: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

أى: لكى لا يكون تداول المال محصورًا فيما بين طبقة الأغنياء منكم فقط، والتعليل بهذه الغاية يؤذن بأن سياسة الشريعة الإسلامية فى شئون المال قائمة فى جملتها على تحقيق هذا المبدأ، وأن كل ما تفيض به كتب الشريعة الإسلامية من الأحكام المتعلقة بمختلف شئون الاقتصاد والمال يبتغى من ورائه إقامة مجتمع عادل تتقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم، ويقضى فيه على أسباب الثغرات التى قد تظهر فيما بينها والتى قد تؤثر على سير العدالة وتطبيقاتها.

ولو طبقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشئون المال من إحياء

---

(١) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٢١٢.

(٢) الكراع: أي: الدواب التي تصلح للحرب.

(٣) الرحيق المختوم ص ٢٦٣.

(٤) فقه السيرة للبوطي ٢٠٣ - ٢٠٤.

لشريعة الزكاة ومنع للربا وقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات لعاش الناس كلهم فى بحبوحة من العيش ؛ قد يتفاوتون فى الرزق ولكنهم جميعًا مكتفون ، وليس فيهم كلٌ على آخر وإن كانوا جميعًا يتعاونون[١] .

٣- لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .

كان مكر اليهود وتآمرهم على حياة الرسول ﷺ والدولة الإسلامية فى غاية الخسة والوضاعة ، وكانوا يريدون من مكرهم وغدرهم عزة ورفعة ومجدًا ؛ لكن الله سخر منهم ونجى رسوله والمسلمين من مكرهم ، وأذلهم وأخزاهم فزال مجدهم وخرب بيوتهم ورحلهم عن ديارهم ولم يكلف ذلك المسلمين اصطدامًا مسلحًا قتالاً ضاريًا ، ولكن الله قذف فى قلوبهم الرعب والفزع فطلبوا النجاة بأرواحهم فى ذلة وخزى مخلفين وراءهم ثروة وملكًا حازه المسلمون غنيمة باردة قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر: ١ - ٢] [٢]

٤- من دلائل النبوة فى غزوة بنى النضير: الخبر الذى جاء من الله تعالى إلى رسوله ﷺ بكشف ما بيته اليهود من الغدر به تعد واحدة من الخوارق الكثيرة التى أكرم الله بها رسوله ﷺ قبل بعثته وأثنائها وهذا يحملنا على مزيد من الإيمان بنبوته ورسالته[٣] .

* * *

(١) المصدر نفسه مختصرًا .
(٢) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٢١٧ .
(٣) فقه السيرة للبوطي ٢٠٤ .

أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الاجْتِمَاعِيَّةِ

أَوَّلاً: زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَب بِنْتِ خُزَيْمَةَ رضى الله عنها:

كانت زينب بنت خزيمة تحت عبد الله بن جحش بن رئاب؛ الذى قتل فى معركة أحد شهيدًا فى سبيل الله تعالى فتزوجها ﷺ إكرامًا لها بعد أن فجعت بقتل زوجها فى معركة أحد [١] وقد تزوجها النبى ﷺ سنة ٤هـ، ماتت بعد الزواج بنحو ثلاثة أشهر فى آخر ربيع الآخر سنة ٤هـ [٢].

زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِأُمِّ سَلَمَةَ رضى الله عنها:

هى هند بنت أبى أمية حذافة بن المغيرة القرشية المخزومية، كانت زوجة ابن عمها أبى عبد الله بن عبد المطلب، وزوجها هذا هو ابن عمة الرسول ﷺ برة بنت عبد المطلب، وهو أيضا أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وقد هاجرت أم سلمة وزوجها أبو سلمة إلى الحبشة فرارًا بدينهما من المشركين ثم رجعا إلى مكة وهاجرا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ والمسلمون.

لما توفي زوجها أبو سلمة من أثر جراحات أصابته في قتاله المشركين، وكانت تحبه وتجله، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ[٣]: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**» قَالَتْ: فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

حِوَارُ الرَّسُولِ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ رضى الله عنها عِنْدَمَا خَطَبَهَا:

قال عمر بن أبي سلمة رضى الله عنه: إن أم سلمة لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ ثُمَّ خَطَبَهَا عُمَرُ فَرَدَّتْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ[٤]: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِرَسُولِهِ أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى وَأَنِّي مُصْبِيَةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا قَوْلُكِ:

---

(١) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ١٩٥.
(٢) الرحيق المختوم ص ٤٠٦.
(٣) (صحيح): مسلم ٩١٩.
(٤) (صحيح): رواه أحمد ٢٦١٢٩

«إِنِّـي مُـصْبِيَةٌ[١] فَـإِنَّ اللَّـهَ سَيَكْفِيكِ صِبْيَانَكِ وَأَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي غَيْرَى فَسَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ غَيْرَتَكِ وَأَمَّا الأَوْلِيَاءُ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَاهِدٌ وَلا غَائِبٌ إِلا سَيَرْضَى بِي».

وفي رواية: إني امرأة قد أدبر من سني فكانت إجابة رسول الله ﷺ لها: «وأما السن فأنا أكبر منك» وقد أحسن إليها ﷺ الجواب وما كان إلا محسنًا، قالت أم سلمة: يا عمر (أى ابنها) قم فزوج رسول الله ﷺ[٢].

* * *

(١) مصبية: ذات صبيان وأولاد صغار.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٩٥ - ١٩٦).

obeikandl.com